

فتح القدير

ثم استفهم سبحانه استفهما آخر للتوبيخ والتقريع يجري مجرى الحجاج للكفار واستركاك صنعهم والإزراء عليهم فقال 33 - { أفمن هو قائم على كل نفس { القائم الحفيظ والمتولي للأمر وأراد سبحانه نفسه فإنه المتولي لأمر خلقه المدير لأحوالهم بالآجال والأرزاق وإحصاء الأعمال على كل نفس من الأنفس كائنة ما كانت والجواب محذوف : أي أفمن هو بهذه الصفة كمن ليس بهذه الصفة من معبوداتكم التي لا تنفع ولا تضر قال الفراء : كأنه في المعنى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت كشركائهم الذين اتخذوهم من دون الله والمراد من الآية إنكار المماثلة بينهما وقيل المراد بمن هو قائم على كل نفس : الملائكة الموكلون ببني آدم والأول أولى وجملة { وجعلوا شركاء { معطوفة على الجواب المقدر مبينة له أو حالية بتقدير قد : أي وقد جعلوا أو معطوفة على { ولقد استهزئ { أي استهزأوا وجعلوا { قل سموهم { أي قل يا محمد جعلتم له شركاء فسموهم من هم ؟ وفي هذا تبيكيت لهم وتوبيخ لأنه إنما يقال هكذا في الشيء المستحقر الذي لا يستحق أن يلتفت إليه فيقال : سمه إن شئت : يعني أنه أحقر من أن يسمى وقيل إن المعنى سموهم بالآلهة كما تزعمون فيكون ذلك تهديدا لهم { أم تنبئونه { أي بل أتنبئون الله { بما لا يعلم في الأرض { من الشركاء الذين تعبدونهم مع كونه العالم بما في السموات والأرض { أم بظاهر من القول { أي بل أئسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن تكون له حقيقة وقيل المعنى : قل لهم أئنبئون الله بباطن لا يعلمه أم بظاهر يعلمه ؟ فإن قالوا بباطن لا يعلمه فقد جاءوا بدعوى باطلة وإن قالوا بظاهر يعلمه فقل لهم سموهم فإذا سموا اللات والعزى ونحوهما فقل لهم إن الله لا يعلم لنفسه شريكا وإنما خص الأرض بنفي الشريك عنها وإن لم يكن له شريك في غير الأرض لأنهم ادعوا له شريكا في الأرض وقيل معنى { أم بظاهر من القول { أم بزائل من القول باطل ومنه قول الشاعر :

(أعيرتنا ألبانها ولحومها ... وذلك عار يا بن ربيعة طاهر) .

أي زائل باطل وقيل بكذب من القول وقيل معنى بظاهر من القول بحجة من القول ظاهرة على زعمهم { بل زين للذين كفروا مكرهم { أي ليس شريك بل زين للذين كفروا مكرهم وقرأ ابن عباس زين على البناء للفاعل على أن الذي زين لهم ذلك هو مكرهم وقرأ من عداه بالبناء للمفعول والمزين هو الله سبحانه أو الشيطان ويجوز أن يسمى المكر كفرا لأن مكرهم برسول الله كان كفرا وأما معناه الحقيقي فهو الكيد أو التمويه بالأباطيل { وصدوا عن السبيل { قرأ حمزة والكسائي وعاصم { صدوا { على البناء للمفعول : أي صداهم الله أو صداهم الشيطان

وقرأ الباكون على البناء للفاعل : أي صدوا غيرهم واختار هذه القراءة أبو حاتم وقرأ يحيى بن وثاب بكسر الصاد { ومن يضلل } فما له من هاد { أي يجعله ضالا وتقتضي مشيئته إضلاله فما له من هاد يهديه إلى الخير قرأ الجمهور { هاد } من دون إثبات الياء على اللغة الكثيرة الفصيحة وقرئ بإثباتها على اللغة القليلة